نانسي في منزلها واصدقاؤها يقدمون هدايا للأطفال

نانسي اندريه

التهويش بأمساء الأسرة ولأنني أحبه واحترم مشاعره وأكره أن أجرحه لم أكن لأواجهه بهذه الحقيقة لم أنه مرة ولم أعتبره بالبطالة. كانت الجهود تتسع ما بيننا وقد بدأ يكتشف أن وجهه الآخر من خلال ارتواجية التعاطي معي ومع الأولاد. ففي الوقت الذي يطلب مني أن أعمل وساعده نشاطي كما يقول تستمر أو ثلاث حتى يستمر نفسه أحمه يتنفجر من قيمة عملي ويقلل من جهدي ويتقدني أمام الأولاد بتهمة التقصير وبدأ الأمر يأخذ منحى آخر أكثر بشاعة حين أصبح يلمح أمام أولادي كلما ناقرب في العمل إلى أنني قد أكون دفعه شخص آخر أصبح الأمر مرعباً حين بدأت صورتي تتشوه لدى أطفالي وكأنني الأم التي تضحي بسعادة أولادها لمصلحتها هي أو التي تهمل بيتها أو أطفالها لتشتغل بعملها الخاص وبحملاتها وسهراتها وأنت هذا التشويه ليطال مائتي ككل.

وتعترف نانسي أنها عاشت السنة الأخيرة معه في مضاعفات تامة حتى إنه لم يتورع عن شتمها والإساءة إليها وهجرها تماماً وفاعلها ما سمل الأولاد يعيشون حالة صدمة تقول بألم: لا أريد أن أدخل بالتفاصيل لأنني لا أريد الإساءة لأولادي أو النيل من صورة أبيهم وأعترف أنني لم أكرهه يوماً حتى وقع بجرحي منهم. كان دائماً يهددني بأنه سيبعد والأولاد إلى لبنان وبالتالي كنت مدركة أنه قادر على تنفيذ تهديده ما جعلني أستصغر قراراً من الحكام اللبنانيين يمنع سفر الأولاد لكنه نجح في إقناع القاضي بالسماح له بالسفر لمدة أسبوعين فقط وبرفقة الأولاد على أساس أنه إجازة لصالح الأسرة عموماً كان رأي القاضي والقاضين أن هكذا إجازة قد تسهم في تجسير العلاقة. ووافقت بعد أن انتزع القاضي وعداً بعودته بعد انقضاء الأسبوعين. كان ذلك سنة ٢٠٠٠ حين ودعت أولادي على أمل اللقاء لنعم سنوات أربع على بقائهم في لبنان وتتابع نانسي "حاولت مشاهدتهم سنة ٢٠٠٤ أثناء خروجهم من المدرسة ولم أخرج فذهبت إلى البيت لأشاهدهم عن بعد أثناء دخولهم للمدرسة صباحاً كان قد علم بوجودي فاتصل بالشرطة واتهمني بالتهجم بالسلاح فتم حجزي لتسع ساعات متواصلة حتى تدخلت السفارة اللبنانية وعملت على إطلاق سراحي وحاولت مرة أخرى في عام "أيار" ٢٠٠٠ وهي المدرسة أيضاً لكني لم أر سوى السنين الكبيرين وبالصدفة فاجأتهما أنهما يحملان لي قدراً من الحب جعلني أشعر بالارتياح.

وعلى الرغم من أن نانسي حصلت على قرار بمشاهدة أبنائها فإن زوجها لم ينفذ القرار وفرض عليها دور مشاهدتهم حواجز من الرقابة والتبع ولم تتمكن سوى مرة واحدة إثر استصدار القرار سنة ٢٠٠٤ ولدقائق قليلة في السفارة اللبنانية ما جعلها تصمم على متابعة محاولاتها لإعادة تواصلها معهم لتفاجأ بأنه أشهر إسلامه ليتمكن من طلاقها. وتختم نانسي التي حضرت إلى لبنان قبل يومين من عيد الأم لتعوض عن افتقادها لأبنائها بتقديم الهدايا لأطفال حرموا من أجواء الطفولة. تقول وهي تعتصر بعضاً من وجع الأمومة: صممت على المشاركة في احتفال يوم الطفل الذي سيكرم فيه عدد من الأطفال المعوقين وضحايا الحرب. ففي سعادتهم أجد بعضاً من سعادتي الضائعة. تتنهد وهي ترد: "لن أيأس من استرداد أولادي". أنا أتعلم اللغة العربية لأنها لغة أولادي وأطمح إلى أن أدخل بها يوماً إلى أحفادهم وربما يعرفني أيضاً أنني قمت بتأسيس جمعية في بلجيكا تعنى بالمهمات المهمات من أبنائهن وقلب الاستلاب الأبوي. وأعترف أيضاً أنني حاولت أحمل اسم عائلة زوجي ولن أتنازل عنه فهو الاسم الذي يحمله أبنائي. تخرج نانسي قصاصة ورق بالعربية لتقول لنا أنها المقالة التي كتبتها بالعربية في بلجيكا وتتصدر معاناتها فرمانها من رؤية أبنائها.

لا أثر لأولاده! إذا كانت نانسي تعرف مكان أبنائها فهيلك ماري نويل فهد التي فقدت أثرهم منذ اللحظة التي اكتشف فيها زوجها عودتها لزيارتهم وماري نويل عرضة فرنسية زارت لبنان قبل عشرين سنة كانت يومها لا تزال تلميذة في مدرسة الشوفرتي التقت زوجها فهد وبقي يعمل في قائمة الترانزيت في مطار بيروت وكانت قصة حب جميلة انتهت بالزواج سنة ١٩٨٩.

تقول ماري والدموع تغسل وجهها "كان زواجنا عادياً في البداية لكننا عدنا لنتزوج زواجاً كنسياً سنة ١٩٩١ كانت السنوات السبع الأولى من حياتنا الزوجية رائعة بكل المقاييس. عشنا معاً في فرنسا لتأجيل زوجي حتى عدنا إلى لبنان وقد اشترى لي والدي منزلاً لنعيش فيه معاً كون زوجي لم يكن قد أصبح بيته الخاص ولم أعترض حين سجل البيت باسمه ولم يخطر لي أن يوماً ما سأطرد من هذا البيت والذي هو في الحقيقة بيتي. كانت السعادة أكبر من أن تتيح لي فرصة التفكير ولو للحظة أن ثمة تغييراً قد يطرأ على حياتنا حتى كانت تلك الأسئلة التي تعرضت لها والتي سلبتني قدراتي على المشي كنت قد أنجبت طفلتي أليس وجولي وكانت سعادتي بهما لا توصف أتابعهما في المدرسة. وأعينهما بكل ما أملك من طاقة وصبر. وفي ذلك الصباح من عام ١٩٩٧ وكنت قد اعتدت احضار جولي من الحضانة وقع ذلك الحادث الرهيب. كانت جولي إلى جانبي في السيارة طفلة لا تتجاوز الثالثة حين وقع الاصطدام فكان همي حماية طفلتي وقد ارتبت بصدري عليها لأرى عينها الرجاج المتناثر وحين صحوت من العملية كان أول سؤال لي عنها عادت أذكر وجه الممرضة الغريب وهي تحاول أن تشرح لي حقيقة ما أصابني لكنني كنت أسعى فقط لمعرفة مصير طفلتي جولي حينها ربت على كتفي وهي تقول لها بخير ولم تصب بأذى تابعت وهي تشد على يدي. أنا أم مثلك لكن

تحقيق

أزواجهن استخدموا السلاح القاتل

نانسي.. ماري وسعاد.. محرومات من الأمومة

"أحبك ماما". لعلها الهدية الأجمل للإنسانة الأجمل. التي تمسح تعب العمر وتغسل هموم القلب. وتجدد نبض الحياة. وكما الربيع تزهر فرحاً وعطاء. لكن ثمة أمهات يعانين ولم يسمعن الكلمة الأجمل "أحبك ماما". على الرغم من أنهن أنجبن وتعبن في التربية وكن صدراً حنوناً ومثالاً للأمومة. إنهن أمهات اقتلعن من أمومتهن. وحرمن فلذات أكبادهن في حكايا أقرب إلى الخيال. فهذا أب يخطف أبناءه من حضن الأم ويرحل بهم إلى مكان مجهول! وذلك آخر يطردها خارج المنزل ويصدر قراراً بحرمانها من رؤية فلذات أكبادها حتى في الشارع أو المدرسة فإذا ما ضبطت بجرم مشاهدتهم تم توقيفها وربما يصل الأمر إلى سجنها.

تفاصيل ووجوه لأمهات لم يتعبهن البحث عن فلذات أكبادهن تلتقيهن في مؤسسة "كفى" عنفاً واستغلالاً في إضاءة على ضحايا "الاستلاب" الأبوي.

بيروت: سلوى التميمي / تصوير: علي سيف الدين

ماري نويل على كرسيها المتحرك وسنوات من الحرمان

تهمة بالقطف: "نانسي اندريه الخوري أم لستة أبناء بينهم توأمان لم ترهم منذ سنتين تقول وهي تغالب دموعها حضرت في يوليو "تموز" الماضي ومثلاً اقترب على الرغم من خدير السفارة لي بسبب خطورة الوضع الأمني لكن خوفي على أولادي كان أكبر من خوفي على حياتي.

نانسي تعرفت إلى زوجها أثناء دراسته الطب في بلجيكا وكانت زميلة له وتخصصت في علوم النطق لمن يعانون الشلل الدماغي تقول "تعرفت إليه لأكثر من ست سنوات وربطتنا علاقة صداقة قوية قبل أن نفكر الزواج ولأنه يحب وطنه لبنان أن زواجنا هناك ومن أجله أحببت لبنان ووافقت على الاستقرار فيه حتى كان قرار عودته إلى بلجيكا لإنهاء تخصصه على أمل أن يعمل لفترة محددة ويعود نهائياً للاستقرار في لبنان".

وتقول: عشنا ست عشرة سنة من الحب والتفاهم والسعادة حتى أننا كنا مثالاً للأهل والأصدقاء وكانت سعادتنا تتجلى في المناسبات والأعياد حين اختارت بزوجي وأطفالي أجواء عطلتنا الخاصة إذ يشاركني أطفالي في إعداد وجبات الطعام وتحضير الحلوى وأطباق الفاكهة ما يجعل الجيران ينبهون أطفالهم للاقتداء بهم. كنا العائلة النموذجية التي يضرب بها المثل.

وتضيف نانسي وقد التمعت عيناها بومضة حب نعم أحببته وغادرت ولا أستطيع أن أصلح من حياتي أكثر من السجن وعشرين سنة من الحب والعطاء فقد عرفته كما قلت ست سنوات قبل الزواج وما كنت لأفكر قطعة أن يوماً ما سيأتي لأفقد سعادتي واستقراري وانتهى لما انتهيت إليه الآن.

كيف بدأت الخلافات؟ سؤال صعب لكنني استطيع القول إن زوجي بدأ يتغير بعد وفاة والده وكان شديد التعلق به حتى أننا كنا نعمل وفقاً إضافياً لتأمين نفقات زيارتنا السنوية للبنان وفجأة فقد زوجي شهيته للعمل. اعتقدت في البداية أن ارتواءه وتركته نتيجة طبيعية للحزن على رحيل والده وأنه لن يلبث أن يخرج من مشاعر الاحباط هذه ويعود لعمله ونشاطه واضطررت لمضاعفة نشاطي وزيادة ساعات العمل لأتمكن من التهويش بأعباء الأسرة واستغرقني العمل تماماً لأعد زوجي وقد أعد مكاني في البيت تماماً بما يهتم بالأولاد ويمارس أعمال البيت في الوقت الذي يلومني فيه لاستغراقي في العمل والغريب هنا أنه ما كان ليعترف أن مضاعفة عملي هو نتيجة لتقاعسه عن العمل وأنني مرغمة على